الحكم والمواعظ في المدرسة الأوسية

إعداد/ د. سناء مصطفى عبد الله محمد احمد[1]

استاذ الأدب والنقد المساعد– جامعة الباحة– كلية العلوم الآداب

المستخلص:

هدف البحث الى الوقوف على الحكم والمواعظ عند شعراء المدرسة الأوسية، واتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة الموضوع، وتمثلت أهم نتائج البحث في أن الحكمة تبدو جلية واضحة عند كل شعراء المدرسة الأوسية على اختلاف أزمانهم وأغراضهم، وأن تشابهوا الى حد كبير في صياغتهم للحكمة او ايرادها كمثل سائر أو موعظة للاعتبار، فتحدثوا حديث العارف الحاذق الذي فهم الحياة والموت ومشارب البشر وطبائعهم واخلاقهم وخبر خلجات النفس الانسانية ودروبها. وتوصي الباحثة بمزيد من الدراسة والتقصي للمدرسة الأوسية، وبدراسة شعر الحكم في مختلف مدارس الشعرالعربي.

Abstract:

The aim of the research was to find out the wisdom and sermons of the poets of the Awsiya School. The researcher followed the descriptive and analytical method because it was appropriate to the nature of the subject. The most important results of the research were that wisdom appears clear and evident among all the poets of the Awsiya School, despite their different times and purposes, and that they were very similar in their formulation of wisdom or meant it as a common proverb or a sermon for consideration, so they spoke of the wise, wise man who understood life and death, human beings' inclinations, natures, and morals, and the experience of the human soul's depths and paths. The researcher recommends further study

[1]- جامعة الباحة- كلية العلوم الآداب- المملكة العربية السعودية.-استاذ الأدب والنقد المساعد

and investigation of the Awsi school, and the study of wisdom poetry in various schools of Arabic poetry.

مقدمة:

الحكم والمواعظ من أهم وأقيم ما اشتمل عليه الشعر العربي، ذلك أن الحكمة غالبا هي نتيجة تجربة حياتية ثرة، وربما تكون وليدة لحظة ملهمة، أو لربما اتكأت الحكمة والموعظة على إشارة او معنى مستلهم من الأديان السماوية، هذا فضلا عن أهمية الموعظة وقيمتها العالية– غالبا– في توجيه الحياة الإنسانية لطرق الخير والرشاد، وفي هذا تلميح الى أن بعض الحكم– وان كان قليلا جدا– قد يتنافى مع ما اصطلح عليه الناس من مكارم الإخلاق، وهذا على الارجح– نتاج تركيز على معنى ضيق، وهولا يقاس عليه، فالحكمة اذا على عمومها تتماهى مع الخلق الفاضل، وتختصر المعاني في كلمات موجزات مختصرات مقتضبات حاويات مشتملات على معانى فاضلات كثيرات.

ومن ههنا تظهر اهمية هذا البحث في الصبغة القيمية لموضوعه، ثم تناوله لحقبة ثرة من تاريخ الشعر العربي وهى فترة المدرسة الأوسية، والتي–على طولها– اشتملت على أدب ثر تميز بغزارة موضوعاته وتنوعها على نحو لم يتوفر لحقب تاريخية اخرى، هذا فضلا عن تسليط البحث الضوء على شعراء فحول عظمت مكانتهم عند النقاد مزجوا بين جودة الصناعة وطلاقة الموهبة، فجاءت اشعارهم غاية في القيمة الفنية من حيث الرشاقة والخفة وحسن السبك والدقة، فكان منهم – من شعراء الحوليات– من يمكث حولا كاملا في تهذيب وتشذيب ومراجعة قصيدة واحدة، فجاء شعرهم رائعا خالدا آخذا بالألباب استمرت حكمه ومواعظه على ألسن الناس لعقود وعقود من الأزمان.

في سبيل الوصول الى هدف البحث تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي فتعرف أولا بالمدرسة الأوسية، سماتها ومميزاتها وخصائصها،ثم تعرف ثانيا بشعرائها سيما مؤسسها ومن تنسب اليه، وتستعرض نماذج من أشعارهم، ثم تعمد ثالثا الى بيان الحكم والمواعظ التي اشتملت عليها المدرسة الأوسية.

اولا– المدرسة الأوسية:

عرفت في الشعر العربي مدارس شعرية تتحد في الفكر والموضوع، وقد تختلف في أساليب شعرائها، لكن الدارس لتاريخ الشعر العربي يرى أن مصطلح (مدرسة) لم يظهر في العصر الحديث وإنما كانت له جذور في الأدب العربي تعود إلى ما قبل الإسلام. ومن أشهر المدارس الشعرية والتي تمتد جذورها من العصرالجاهلي الى عهد الدولة الأموية، المدرسة الأوسية. نسبة الى مؤسسها ورائدها(أوس بن حجر) وفيها نشأ زهير بن أبي سلمى[1].

الاختلاف في التسمية:

الذي يظهر للباحثة ان تسمية هذه المدرسة ب(المدرسة الأوسية) ليس أمرا مسلما به ولا متفقا عليه، فقد ذهب بعضهم الى عدم صحة هذه التسمية، أو بالأحرى عدم دقة هذه التسمية، ويؤيد ذلك ما ذهب اليه **عبد الكريم محمد حسين** حيث قال[2]: (ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن عدداً من الشعراء من أصحاب هذا المذهب الشعري يمكن أن يُطلق عليهم اسم المدرسة الأوسية نسبةً إلى أوس بن حجر، وهذا **غير دقيق)**. بينما ذهب آخرون منذ وقت مبكر جدا الى تسمية أصحاب هذه المدرسة ب(عبيد الشعر) في انتقاد صارخ لاهتمامهم الزائد بتشذيب وتهذيب وتجويد أشعارهم. هذا وقد ذهب بعض ثالث – وأولهم الأصمعي– الى تسميتهم ب (المتكلفين)، الى غير ذلك من الأسماء، ويبدو أن هذه التسميات –على اختلافها– تومئ الى القدح والمدح، فمن أسماهم ب (عبيد الشعر) كأنه جنح الى تعييرهم باهتمامهم الزائد ومكوثهم الطويل في إخراج القصيدة الواحدة، وفيه اتهام لهم بمجانبة التلقائية في قول الشعر وفطريته التي تقتضي غثه وسمينه، علاوة على خوفهم الزائد من العيب والنقد. أما الذين رموهم بالتكلف فكانوا–حسب رأي الباحثة– أكثر اعتدالا

[1] -https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724
[2] -https://arab-ency.com.sy/ency/details/7414/12890/12 الموسوعة العربية مجلد

في تسيميتهم وأصابوا قسطا وافرا من الحقيقة ولكنهم ما مالوا الى مدحهم. أما الذي نحا الى تمجيدهم ومدحهم وإعلاء شأنهم فهم من سموهم ب(المدرسة الأوسية) نسبة للمؤسس (أوس بن حجر) وتخليدا له، ولا يخفى ما في هذا من الشرف والاعتراف بالفضل والمكانة العالية. ونظائر هذا وأشباهه ملحوظ في أدبيات النقد، ومنه ما يلمح وما يشي بالقدح أو المدح من خلال التسمية، ففي العصر الحديث صنف عميد الأدب العربي المصري طه حسين مؤلفا أسماه (مع المتنبئ)، بينما صنف الأديب العالمي السوداني عبد الله الطيب مصنفا في ذات الباب أسماه (مع أبي الطيب) ففهم من التسمية من منهما مال الى مدح أحمد بن الحسين، ومن منهما من لم يفعل.

خصائص ومميزات المدرسة الأوسية:

تختلف أسس المدرسة في الأدب العربي المتقدم عنها في الأدب العربي الحديث، فإذا كانت المدرسة في الأدب العربي تتميز بمعاصرة كثير من روادها لبعضهم، وتوافقهم في النواحي الفكرية والشكلية في إنتاجهم الأدبي، فإن المدرسة الأوسية تمتاز بأمور متعددة، منها[1]:

1- **الامتداد الزمني** الذي أخذته؛ إذ نجدها بدأت من العصر الجاهلي حتى توقفت في العصر الأموي، فأولها –عند بعضهم– الطفيل الغنوي، ثم أوس بن حجر، ثم زهير بن أبي سلمى، ثم كعب بن زهير، ثم الحطيئة، ثم هدبة بن الخشرم، ثم جميل بن معمر، ثم كثير عزة.

2- **الرواية التي تسلسلت** في هذه المدرسة مما يعني توارث الخصائص الشعرية العامة.

3- **حديث النقاد والمشتغلين** بالأدب عنها دون تحديد مصطلح (مدرسة)، وقد تمثل حديثهم في سياقات متعددة، كان منها:

[1] -انظر(بتصرف)https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724

أ- الثناء على انقطاعهم للشعر تنقيحاً وتهذيباً وكان من أوائل من التفت إلى ذلك الأصمعي، وما ذاك إلا لأنّ أصحاب هذه المدرسة أخذوا على أنفسهم إصلاح شعرهم، وتنقيحه، وإشغال خواطرهم به.

ب-الحديث عن رواية بعضهم شعر أستاذه، فأول من عرف في الدرس الأدبي أنه روى شعر أستاذه هو: زهير بن أبي سلمى الذي كان راوية أوس بن حجر والطفيل الغنوي.

ت-تعدد ألقاب وأسماء بعض شعراء هذه المدرسة؛ إذ نطالع في كتب الأدب أن الأصمعي يصف زهير بن أبي سلمى والحطيئة، وهما من أعلام هذه المدرسة بأنهما من عبيد الشعر، والطفيل الغنوي وهو رأس هذه المدرسة يلقب بالمحبّر، وسماهم الأصمعي كذلك شعراء التكلف، وقد ذهب الجاحظ إلى تهذيب تسمية الأصمعي فجعل شعرهم شعر الصنعة.

ث-اشتراكهم في كثير من الخصائص الشعرية والتي منها: كثرة الصور الشعرية، والعناية بفخامة الألفاظ، والاهتمام بفن التقسيم، والإكثار من ذكر الأمكنة.

وقد أدت رواية شعراء هذه المدرسة لبعضهم أن يلتبس الدراسون لأشعار هذه المدرسة في تحديد نسبة القصائد لكل من أعلام هذه المدرسة، وما ذاك إلا لشبهها ببعض.

يقول محمد لطفي الصباغ[1]: (إن مما يقوي نظم هؤلاء الشعراء في مدرسة واحدة ما رأيته خلال دراسة دواوينهم من تشابه حتى بلغ الأمر بالرواة إلى إدخال شعر بعضهم في شعر بعض، إنه تداخل ما كان ليقع لولا التشابه الشديد الذي يسود شعرهم).

اذاً كان الشاعر في هذه المدرسة يقوم بتنقيح شعره وتثقيفه، ويقول بتحسينات وتعديلات عليه فيقوم بزيادة ألفاظ أو يزيلها أو يغير فيها واحداً بدل آلآخر، ولذلك أطلق على هؤلاء الشعراء لقب (عبيد الشعر)، وبالتالي ظهرت مسميات حديثة للقصائد التي يقومون بتحسينها وتغييرها وتبديلها، فتعددت المسميات ما

[1] -https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724

بين الحوليات والمنقحات والمقلدات وغيرها من الألفاظ، وفيها من البراعة والإتقان الكثير وتدل على التغيير والتدقيق.

إن أصحاب هذه المدرسة اتخذوا من الشعر صناعة لهم، والصناعة لا تعني التكلف بل هي التنقيح، أي: إن أهل هذه المدرسة يعودون على أشعارهم التي فاضت بها قرائحهم بالنظر، والتنقيح، فهم مطبوعون في الأولى، منقحون في الثانية، وهذا يدل على مزيد عنايتهم بكلامهم،ولا يعني ما سبق أن شعراء هذه المدرسة يفوقون من عداهم من الشعراء، بل هي طريقة خاصة انتهجوها، وحافظوا عليها، ولا يؤدي عملهم هذا إلى تفوقهم على غيرهم بل يعني مزيد عنايتهم بفن القول، والبحث عما يعين الشاعر على التفوق فيمكن القول: إن المدرسة الأوسية هي مدرسة الشعراء الذين أصلحوا خلل الموهبة بالعلم، وقد برز عدد من الشعراء ممن بالغوا بهذه المراجعات ومن أمثالهم زهير بم أبي سلمى والنابغة الذبياني وأوس بن حجر، فقد كانوا يقومون بذلك خشية أن يعيب أحد شعرهم[1].

ثانيا– شعراء المدرسة الأوسية:

تباينت الآرء في تسمية شعراء هذه المدرسة، فمنهم من أكثر ونسب اليها الطفيل الغنوي وعده أولها وجعله في منزلة قبل مؤسسها (أوس بن حجر)، وأغلبهم ذهب الى اعتبارأوس أولها، وكلهم نسب اليها زهيرا بن أبي سلمى و كعبا بن زهير و الحطيئة و هدبة بن الخشرم وجميل بن معمر، ومنهم من أضاف اليها كثير عزة، وسويد بن كراع، وعدي بن الرقاع وغيرهم. والباحثة تقصر دراستها في حدها الموضوعي على من سبق ذكرهم سوى الطفيل الغنوي وكثير عزة وسويد بن كراع وعدي بن الرقاع ، وذلك حذرا من التكرار والتطويل وللتشابه والتقارب بين أشعارهم، ولكن على نحو يسعى لتغطية حقبهم الزمنية المختلفة منذ العصر الجاهلي وحتى الدولة الأموية، وذلك وفقا لما يأتي:

[1] -https://e3arabi.com/%D8%A7%D9%84%D8

1- أَوْس بن حَجَر:

هو أَوْس بن حَجَر بن مالك الأُسَيِّدي التميمي، شاعر مُضَر أبو شريح، وهو من أُسَيّد بن عمرو بن تميم رهط أكثَم بن صَيفي حكيم العرب ، من كبار شعراء تميم في الجاهلية، كان أَوْسٌ زوجَ أم زهير بن أبي سُلمى.كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحِيرة. عُمِّر طويلًا (زهاء 90 عاما). عدَّه ابن سلَّام في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية.

وذكر الأصفهاني في الأغاني أنه:(من الطبقة الثالثة، وقرنه بالحطيئة نابغة بني جعد)[1].

في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب. قال الأصفهاني: (كان أوس بن حجر فحل الشعراء؛ فلما نشأ النابغة طأطأ منه). وكان غزلاً مغرماً بالنساء[2].

ومن أشهر قصائده:[3]

وَكائِن يُرى مِن عاجِزٍ مُتَضَعَّفٍ جَنى الحَربَ يَوماً ثُمَّ لَم يُغنِ ما يَجني

أَلَم يَعلَمِ المُهدي الوَعيدَ بِأَنَّني سَريعٌ إِلى ما لا يُسَرُّ لَهُ قِرني

وَأَنَّ مَكانيلِلمُريدينَ بارِزٌ وَإِن بَرَّزوني ذو كَؤودٍ وَذو حُضنِ

إِذا الحَربُ حَلَّت ساحَةَ القَومِ أَخرَجَت عُيوبَ رِجالٍ يُعجِبونَكَ في الأَمنِ

وَلِلحَربِ أَقوامٌ يُحامونَ دونَها وَكَم قَد تَرى مِن ذي رُواءٍ وَلا يُغني

2- زهير بن أبي سلمى:

[1] - https://areq.net/m/%D8%A3%D9%88%D8%B3_%D8%A8%D9%86_%D8%AD%D8%AC%D8%B1.html91 ديوانه ص

[2] - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B3_%D8%A8%D9%86_%D8%AD%D8%AC%D8%B1

[3] https://www.aldiwan.net/poem374.html -

هو زهير بن أبي سلمى المزني من قبيلة مضر. ولد نحوُ سنة ٥٣٠ م في نجد. كان أبوه ربيعة قد ترك قومه و أتى غطفان وتزوّج من أم عمرو في قومها فكان له منها زهير الذي نشأ و ترعرع في غطفان. و كان في غطفان شيخ حكيم غني برجاحة العقل اسمه بشامة الشاعر خال ربيعة والد زهير؛ فلزمه زهير و حفظ له وأخذ عنه الشعر و الرصانة والرغبة في إصلاح مجتمعه القبلي ثم تتلمذ زهير لزوج أمه أوس بن حجر زعيم المدرسة المضرية أو الأوسية في الجاهليّة فاتخذ زهير طريقته في الشعر)[1]. وحياة زهير من الوجهة الأدبية طريفة فقد كان أبوه شاعراً و كذلك خاله و اختاه سلمى و الخنساء و ورث عنه الشعر ابناه[2] ، وكان عمر بن خطاب يقول : زهير شاعر الشعراء لأنه لا يعاظل في الكلام و كان يتجنب وحشي الشعر و لم يمدح أحدا إلا بما فيه3 (المعاظلة بين الكلام هي المداخلة فيه)..

كان زهير من أشد الشعراء المدرسة حرصًا على تحسين وتهذيب أبياته الشعرية وقصائده، وأطلق على قصائده الحوليات؛ والسبب في ذلك أنه يعمل على تأليف قصيدته في شهر، ولكنه يستمر حولا كاملا في تنقيحها وتحسينها، وبعد أن يُتم الحول يعرضها على الناس بعد ما يتيقن أن لا عيب فيها. وكان عمر بن الخطاب لا يقدم شاعرا على زهير، وكان يقول: اشعر الناس الذي يقول: ومن ومن ومن، مشيرا بذلك إلى مجموعة من الحكم في معلقة زهير المشهورة بدأ كلا منها بكلمة "من" مثل قوله:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم[4]

ومن أشهر قصائده، على الإطلاق معلقته، ومنها قوله[1]:

[1] مجلة اللغة العربية و آدابها السنة الثانية، العدد الرابع ربيع و صيف ١٤٢٧/٢٠٠٦م صفحة ٥٠ ـ ٣ ابو الفضل رضايي - وعلي ضيغمي

2 -https://www.uoanbar.edu.iq › eStoreImages › Bank

الزوزني: شرح المغلقات السبع ص123/الاغاني1/298- 1233-

[4] -https://islamonline.net/%D9%83%D8%B9%D8%A8-%D8%A8%D9%86

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأْيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

3-كعب بن زهير:

هو أَبُو اَلْمِضْرَبِ كَعْبَ بْنْ زُهَيْرْ بْنْ أَبِي سُلْمَى اَلْمَزْنِي اَلْمُضَرِيَّ شاعر مخضرم أدرك عصرين مختلفين هما عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام. كان ممن اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي محمد، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النبي، وخلع عليه بردته.

نشأ كعب في أحضان والده الشاعر ووسط أسرة تقرض جميعها الشعر، فأبوه زهير وعمته سُلمَى والخنساء كلهم من الشعراء، كما أثرت هذه النشأة على أخيه "بجير" الذي أخذ الشعر أيضا عن أبيه. وكان زهير يحفظهم الشعر منه شعره ويقولون عن كعب أنه كان يخرج به أبوه إلى الصحراء فيلقي عليه بيتاً أو سطراً ويطلب أن يجيزه تمريناُ ودرّبه، كما أن كعباً كان في عصر ما قبل الإسلام شاعراً معروفاً أكثر من الحطيئة.

[1] -https://www.aldiwan.net/poem25065.html

ويعد كعب أحد فحول الشعراء المخضرمين المقدمين، وكان قد بلغ من الشعر والشهرة حظاً مرموقاً في الجاهلية، وقد ورث موهبة الشعر عن والده الشاعر الذي اجمع النقاد والأدباء على انه من اعظم شعراء عصره. ومن أشهر أشعره على الإطلاق لاميته المسماة بالبردة، ومنها[1]:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيمٌ إثرها لم يفد مكبول

وقال كل خليل كنت آمله لا ألفينك اني عنك مشغول

فقلت خلو سبيلي لا أبا لكم فكل ماقدر الرحمن مفعول

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلةٍ حدباء محمول

إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلول

4- الحطيئة :

هو أَبُو مُلَيْكَة جُرُولْ بْنْ أَوْسْ بْنْ مَالِكْ اَلْعَبْسِيّ المعروف بِالْحُطَيْئَةِ. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر. ولد لدى بني عبس من أَمةٍ اسمها (الضراء) دعِيًّا لا يُعرفُ له نسب فشبّ محروما مظلوما، لا يجد مددا من أهله ولا سندا من قومه فاضطر إلى قرض الشعر يجلب به القوت، ويدفع به العدوان، وينقم به لنفسه من بيئةٍ ظلمته، ولعل هذا هو السبب في أنه اشتد في هجاء الناس، ولم يكن يسلم أحد من لسانه فقد هجا أمّه وأباه حتى إنّه هجا نفسه وقد ذُكِر عنه أنه

[1]- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B9%D8%A8_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%87%D9%8A%D8%B1

كان يؤلف القصيدة في شهر، ثم لا يظهرها على الناس إلا بعد مرور ثلاثة أشهر من التحسين عليها وتجويدها[1].

قصة حبسه في السجن[2]:

كان سبب حبسه أن الزبرقان بن بدر التميمي سيد قومه عَمِل للنَبي . صلى الله عليه وسلم . وأبي بكر وعمر، وكان يجمع زكاة قومه ويؤديها لهم. وقد أشتكى لعمر لما هجاه الحطيئة. فقال له عمر: وما قال لك ؟ قال: قال لي:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة. فقال الزبرقان : أو لا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت ببيت قط أشد عليَّ منه. فدعا عمر حسان بن ثابت وسأله: أتراه هجاه؟ قال حسان : نعم وسلح عليه! فحبس عمر الحطيئة، فجعل الحطيئة يستعطفه ويرسل إليه الأبيات، فمن ذلك قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغبُ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

فلم يلتفت إليه عمر، حتى أرسل إليه الحطيئة:

ألقيت كاسبَهم في قعر مُظلمة فاغفر، عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النُّهي البشرُ

لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ

[1] - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B7%D9%8A%D8%A6%D8%A9

[2] - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B7%D9%8A%D8%A6%D8%A9

فامنن على صبيةٍ بالرَّمْلِ مسكنُهم بين الأباطح يغشاهم بها القدرُ

نفسي فداؤك كم بيني وبينَهُمُ من عَرْضِ واديةٍ يعمى بها الخبرُ

فبكي سيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع الابيات ورحم الحطيئة واولاده ورق لحالهم ،وكان الصحابة رضوان الله عنهم يتعجبون من رحمه عمر للحطيئة ورقت قلبه له فقال له سيدنا عمر : فإياك والمقذع من القول فقال الحطيئة: وما المقذع؟ قال عمر: أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان؛ قال الحطيئة: فأنت والله أهجى مني. ثم قال له عمر : والله لولا أن تكون سُنّة لقطعت لسانك . فاشترى عمر منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً فقال الحطيئة لك عهد الله يا امير المؤمنين . فقال عمر : لكأني بفتىً من قريش قد نصب لك نمرقة، فاتكأت عليها، وأقبلت تنشده في أعراض المسلمين. قال: أعوذ بالله يا أمير المؤمنين.

فأطلقه الخليفة واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، فتوقف عن الهجاء،قال بعض الرواة: فوالله لقد رأيته عند عبيد الله بن زياد على الحال التي ذكر عمر رضي الله عنه، فقلت له: لكأن أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم، فتأوه. وقال: رحم الله ذلك المرء، فما أصدق فراسته.

ومن أشهر أشعاره قصيدته في الكرم والتي منها[1]:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل بتيهاء لم يعرف بها ساكن رسما

أخي جفوة فيه من الأنس وحشة يرى البؤس فيها من شراسته نعمى

وأفرد في شعب عجوزاً إزاءها ثلاثة أشباح تخالهم بهما

[1] -https://www.aldiwan.net/poem22073.html

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملّة ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

5- هدبة بن الخشرم[1]:

هدبة بن الخشرم بن كرز بن أبي حية من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم من قضاعة شاعر عربي؛ كثير الأمثال في شعره، فصيح، مرتجل، راوية، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة) وكنيته أبا سليمان، وقيل أبو عمير، وقد كان راوية الحطيئة .

قتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في أيام حكم معاوية فحبسه سعيد بن العاص وهو على المدينة خمس سنين أو ستا إلى أن بلغ المسور بن زيادة الذي كان صغيراً فطلب قتل هدبة بصفته قاتل أبيه. فمن قوله في الحبس وهومن أشهر أشعاره:

طَرِبتَ وأَنتَ أَحياناً طَروبُ وَكيفَ وَقَد تعَلّاكَ المَشيبُ

يُجِدّ النأَيُ ذِكرَكِ في فؤَادي إِذا ذَهِلَت عَنِ النأي القُلوبُ

يؤَرّقُني اكتِئابُ أَبي نُمَيرٍ فَقَلبي مِن كآبَتِهِ كَئيبُ

فَقُلتُ لَهُ هَداكَ اللَهُ مَهلاً وَخَيرُ القَولِ ذو اللُبِّ المُصيبُ

عَسى الكَربُ الَّذي أَمسَيتُ فيهِ يَكونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قَريبُ

فَيأَمنَ خائِفٌ ويُفَكَّ عانٍ وَيأَتي أَهلَهُ النائي الغَريبُ

6- جميل بن معمر[2]:

[1]- انظر:19-https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%AF%D8%A8%D8%A9
تاريخ الأدب العربي :فروخ396/4،الاغاني144/21

[2] -انظر
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%86

جميل بن معمر المُلقب جميل بثينة، هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْري القُضاعي، ويُكنّى أبا عمرو، شاعر ومن عشاق العرب المشهورين. كان فصيحًا مقدمًا جامعًا للشعر والرواية وأكثر شعره في النسيب والغزل والفخر وأقله في المدح .وكان في أول أمره راويا لشعر هدبة بن خشرم، كما كان كثير عزة راوية جميل فيما بعد. لقب بجميل بثينة لحبه الشديد لبثينة بنت حيان.

افتتن ببثينة بنت حيان بن ثعلبة العذرية، من فتيات قومه وهو غلام صغير، فلما كبر خطبها من أبيها فرده وزوجها من رجل آخر. فازداد هيامًا بها، وكأن يأتيها سرًّا ومنزلها وادي القرى فتناقل الناس أخبارهما.

وكانت قبيلة(عُذرة)– ومسكنها في وادي القرى (العلا) بين الشام والمدينة –مُشتهرةً بالجمال والعشق حتى قيل لأعرابي من العذريين: "ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث –أي تذوب– كما ينماث الملح في الماء؟ ألا تجلدون؟ قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها.

وقيل لآخر: فمن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: عُذريٌّ ورب الكعبة .

قال كثير: قال لي جميل يومًا: خذ لي موعدًا مع بثينة، قلت: هل بينك وبينها علامة؟ قال: عهدي بهم وهم بوادي الدوم يرحضون ثيابهم، فأتيتهم فوجدت أباها قاعدًا بالفناء، فسلمت، فرد وحادثته ساعة حتى استنشدني فأنشدته:

وَقُلتُ لَها ياعَزَّ أَرسَلَ صاحِبي عَلى نَأيِ دارٍ وَالرَسولُ مُوَكَّلُ

بَأَن تَجعَلي بَيني وَبَينَكِ مَوعِدًا وَأَن تَأمُريني بِالَّذي فيهِ أَفعَلُ

وَآخِرُ عَهدٍ مِنكَ يَومَ لَقيتَني بِأَسفَلِ وادي الدَومِ وَالثَوبُ يُغسَلُ

الذهبي : سير أعلام النبلاء386/4 ، الاغاني112/19

فضربت بثينة جانب الستر، وقالت إخسأ، ولما تساءل والدها، قالت: كلب يأتينا إذا نام الناس من وراء هذه الرابية، قال: فأتيت جميلاً وأخبرته أنها وعدته وراء الرابية إذا نام الناس[1].

ولعل أكثر ما يحفظ الناس من شعر جميل ومن أشهر أشعاره هذه الأبيات[2]:

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي وخذي بحظك من كريم واصل
فلرب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي
صادت فؤادي يا بثين حبالكم يوم الحجون وأخطأتك حبائلي
منيتني فلويت ما منيتني وجعلت عاجل ما وعدت كآجل
و أطعت في عواذلا فهجرتني وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي
و تثاقلت لما رأت كلفي بها أحبب الي بذلك من متثاقل

ومن روائعه أيضا[3]:

بثينةُ قالتْ يَا جَميلُ أرَبْتَني فقلتُ كِلانَا، يا بُثينَ، مُريبُ
وأرْيَبُنَا مَن لا يؤدّي أمانة ولا يحفظُ الأسرارَ حينَ يغيبُ
بعيدٌ عن من ليسَ يطلبُ حاجة وأمّا على ذي حاجةٍ فقريبُ

ثالثا– الحكم والمواعظ في المدرسة الأوسية:

تمهيد:

[1] -https://www.m-a-arabia.com/vb/archive/index.php/t-10210.html
[2] -https://www.aldiwan.net/poem27808.html
[3] - المكان نفسه

الشعر الحِكَمي هو الشعر الذي يعبّر عن تجربة ذاتيّة أو مشاهدة عامّة بتأمّل أو وعي و الهدف منه تقرير مبدأ أو توجيه سلوك إنسان أو مجتمع و السموّ به إلى ما يعود إلى خيره و صون كرامته أو يوجّه إلى الأجيال الطالعة في جملة موادّ الإرشاد الأخلاقي و التعليم التربويّ. يشمل هذا الشعر القصائد و المقطوعات و الأبيات التي يودعها الشعراءُ خلاصةَ تجارهبم في الحياة و عصارة معاناهتم الاجتماعية و المصيرية لإذاعتها في الناس تعبيراً عن موقف و رسالة تعليمية و تربوية يتّعظ هبا المتعظون. و هكذا يتحدّد الشعر الحكمي بأنّه خلاصة نظرية تقوم على التبصّر في شؤون الحياة عامة و استخلاص العبرة منه و صوغها الصياغة الفنية الممكنة التي تتمتّع بإمكان البقاء بما يتيسّر لها من عطش الفكرة و القيم الإنسانية و من التعبير و جمالية الشكل في آن[1].

تتناول الباحثة هنا معنى الحكمة في لغة العرب، وفي اصلاح العلماء وعرفهم، وذلك تميدا لاستعراض الحكم والمواعظ عند شعراء المدرسة الأوسية.

الحكمة لغة:

جاء في اللغة حَكَمَه أي مَنَعَه ممّا يريد و منه حَكَمَةُ الدابة لأهنا تذلّلها لراكبها و تمنعها من الجماح و قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنّه يمنع الظالم من الظلم . و منه اشتقت الحكمة لأهنا تمنع صاحبها من الآثام و الرذائل. و (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل الحكمة العلوم)[2].

الحكمة اصطلاحا:

عرّف النقّاد الحكمة بأهنا: (الكلام الموجز البليغ الذي يحوي عظة نافعة و علما مفيداً)[3]، و قد تشتهر فتكون مثلاً سائراً و قولاً ذائعاً بين الناس. فالحكمة كما يعرّفها عبدالمنعم خفاجي هي:(قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل و تجربة و خبرة بالحياة

[1]- مجلة اللغة العربية و آدابها السنة الثانية، العدد الرابع ربيع و صيف ١٤٢٧/٢٠٠٦م صفحة ٥٠ ـ ٣ ابو الفضل رضايي وعلي ضيغمي

[2]- ابن منظور(١٩٩٠)،" لسان العرب"، الطبعة الأولى، داربيروت، بيروت مادة حكم

[3]- السطوحي عبد الستار علي(١٤١٤)،" الحكمة في الشعر العربي"، دار الاعتصام، القاهرة ص ٩

و يتضمّن حكماً مسلّماً تقبله العقول و تنقاد له النفوس و المشاعر)[1]، و الحكمة في عرف العلماء: (استكمال النفس الإنسانيّة باقتباس العلوم النظرية و اكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها و قد أصبحت هذه الكلمة مرادفة لكلمة الفلسفة وأطلقت في الأصل للدلالة على الفلسفة اليونانية التي نقلت إلى اللغة العربيّة)[2] ، وقد جاء في الأثر(الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنّى وجدها)، وهى يؤتيها الله سبحانه و تعالى مَن يشاء مِن عباده ﴿ وَ مَنْ يُؤتَ الحكمةَ فَقَد أُوتِيَ خيراً كثيراً وَ ما يذكّر إلا أولو الألبابِ ﴾[3]، فالحكمة نور مضيء للعقل حينما تلتبس الأمور دونه، وهى خلاصة تجربة و معاناة و نظرة إلى الكون و المجتمع يطلقها صاحبها بكلام موجز و دقيق ليعبّر عن حقيقة أو رأي أو مبدأ يوجّه إلى الأجيال الصاعدة للاتّعاظ و الإرشاد ؛ ومن شروطها أن تكون عامّةً و شاملةً، و لكي يكتب لها الخلود يجب أن تنطبق على كل الناس في كلّ زمان و مكان[4]. و هذه الحكمة قد تكون شعراً أو نثراً و قد جاء في الحديث الشريف:(إنّ مِن البيان لسحراً و إنّ مِن الشعر لحكمةً)[5]، غير أنّها إذا كانت شعراً فهي أكثر استجابة للحفظ و أقوى لصوقاً بالقلب لما للشعر مِن موسيقى و وزن.

ومما سبق يتضح أن معنى الحكمة والموعظة كأنما هما مترادفان، وهذا الميل الى الترادف ما أخذت به الباحثة اجرائيا في هذا البحث على أساس التلاقي الكبير في المعنى بينهما، ولكن هذا لا يمنع أن يكون بينهما تباين من حيث خصائص كل منهما، او من حيث استعمالات بعض أهل اللغة.

الحكم والمواعظ في المدرسة الأوسية:

[1] خفاجي محمد عبد المنعم(١٩٧٣)،" الشعر الجاهلي"، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت- ص ١٤١

[2]- شنتاوي أحمد و زكي خورشيد إبراهيم و يونس عبد الحميد ،" دائرة المعارف الإسلامية"، المجلد الثامن، ط دار الفكر،، ج ٨ ،ص ١٤

[3]- البقرة:الآية ٢٦٩

[4] الشعار فوّاز(د.ت)،" الأدب العربي"، ط دار الجيل، بيروت ص ١٤٦-

[5]- https://dorar.net/hadith/sharh/134719

وردت الحكم والمواعظ في شعر المدرسة الأوسية على نحو واضح جدا لا يخفى على من تأمل أشعار شعراء هذه المدرسة، ومن ذلك:

1- الحكم والمواعظ في شعرأوس بن حجر:

برزت الحكمة في شعر أوس بن حجرعلى نحو لا تخطئه عين قارئ، فتأمل قوله:

أَطَعنا رَبَّنا وَعَصاهُ قَومٌ فَذُقنا طَعمَ طاعَتِنا وَذاقوا[1]

فهو على جاهليته يدعو الى طاعة الله ويحذر من مغبة العصيان، ويشير الى أن لكل من الطاعة والعصيان – قبل الجزاء – مذاق، يعرفه صاحب الحس المرهف ممن رق قلبه وألهم هذه المعاني.

وقول في موضع آخر[2]:

صَحا قَلبُهُ عَن سُكرِهِ فَتَأَمَّلا وَكانَ بِذِكرى أُمِّ عَمروٍ مُوَكَّلا

وَكانَ لَهُ الحَينُ المُتاحُ حَمولَةً وَكُلُّ اِمرِئٍ رَهنٌ بِما قَد تَحَمَّلا

أَلا أَعتِبُ اِبنَ العَمِّ إِن كانَ ظالِماً وَأَغفِرُ عَنهُ الجَهلَ إِن كانَ أَجهَلا

وَإِن قالَ لي ماذا تَرى يَستَشيرُني يَجِدني اِبنَ عَمٍّ مِخلَطَ الأَمرِ مِزيَلا

فبعد إشارته اللطيفة الى أن السكر محله القلب، يقرر حكمة جليلة فيها موعظة وعبرة لمن يعتبر، فيقول :(**وَكُلُّ اِمرِئٍ رَهنٌ بِما قَد تَحَمَّلا**)، أليس هذا الشطر يذكر بقوله جل وعلا: "**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** "[3]،وقوله عز من قائل: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [4]، فموافقته لهذه المعاني السامقات في كتاب الله ، وتأكيده على مسؤولية الانسان عن أفعاله هذه حكمة بديعة.

[1] -https://www.aldiwan.net/poem354.html
[2] -https://www.aldiwan.net/poem356.html

[3]- الطور: الآية21
[4]المدثر : الآية38

وفي نفس الموضع تجده يدعو الى معاتبة القريب والأخذ على يده إن كان ظالما، وأن نغفر له ونتجاوز عن جهالته ورعونته، وأن نعينه بالرأي الصائب، فتلحظ الباحثة أنه دعا الى معاني العتاب والنصح والمشورة، وهى معان ملؤها الحكمة والموعظة الحسنة.

وفي موضع آخر تجده يدعو الى التصبر والتجلد عند المصيبة، ومهما كان الفقد عظيما، ويذكر أن الجزع لا يأتي بما قد ذهب، .فيقول[1]:

أَيَّتُها النَفسُ أَجمِلي جَزَعا إِنَّ الَّذي تَحذَرينَ قَد وَقَعا
إِنَّ الَّذي جَمَّعَ السَماحَةَ وَال نَجدَةَ وَالحَزمَ وَالقُوى جُمَعا
الأَلمَعِيَّ الَّذي يَظُنُّ لَكَ ال ظَنَّ كَأَن قَد رَأى وَقَد سَمِعا
وَالمُخلِفَ المُتلِفَ المُرَزَّأَ لَم يُمتَع بِضَعفٍ وَلَم يَمُت طَبَعا
وَالحافِظَ الناسَ في تَحوطَ إِذا لَم يُرسِلوا تَحتَ عائِذٍ رُبَعا
وَازدَحَمَت حَلقَتا البِطانِ بِأَق وامٍ وَطارَت نُفوسُهُم جَزَعا

الى أن يقول[2]:

أَودى وَهَل تَنفَعُ الإِشاحَةُ مِن شَيءٍ لِمَن قَد يُحاوِلُ البِدَعا

وهكذا اذا تنقلنا بين ثنايا أبياته نجد الحكمة تنطق من نواحيها والموعظة تنثال منها انثيالا، ومن ذلك أيضا تجده حازما يضع الأمور في نصابها ويعد عدته للحوادث، فيقول[3]:

أُقيمُ بِدارِ الحَزمِ ما دامَ حَزمُها وَأَحرِ إِذا حالَت بِأَن أَتَحَوَّلا
وَأَستَبدِلُ الأَمرَ القَوِيَّ بِغَيرِهِ إِذا عَقدُ مَأفونِ الرِجالِ تَحَلَّلا
وَإِنّي اِمرُؤٌ أَعدَدتُ لِلحَربِ بَعدَما رَأَيتُ لَها ناباً مِنَ الشَرِّ أَعصَلا
وَذَلِكَ مِن جَمعي وَبِاللَهِ نِلتُهُ وَإِن تَلقَني الأَعداءُ لا أُلقَ أَعزَلا

[1] -https://www.aldiwan.net/poem347.html
[2] - المكان نفسه
[3] -https://www.aldiwan.net/poem356.html

ثم يذكر حكما جليلة ناجمة عن خبرته بالناس، فيقول[1]:

فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ إِلّا أَقَلَّهُم خِفافُ العُهودِ يُكثِرونَ التَنَقُّلا
بَني أُمِّ ذي المالِ الكَثيرِ يَرَونَهُ وَإِن كانَ عَبداً سَيِّدَ الأَمرِ جَحفَلا
وَهُم لِمُقِلِّ المالِ أَولادُ عَلَّةٍ وَإِن كانَ مَحضاً في العُمومَةِ مُخوَلا
وَلَيسَ أَخوكَ الدائِمُ العَهدِ بِالَّذي يَذُمُّكَ إِن وَلّى وَيُرضيكَ مُقبِلا
وَلَكِن أَخوكَ النائي ما دُمتَ آمِناً وَصاحِبُكَ الأَدنى إِذا الأَمرُ أَعضَلا

وتجده ههنا يقرر حقائق ماثلة في حياة الناس، ويصدر أحكاما صائبة، فالناس – في مجملهم– ينزعون الى خيانة العهد، ويعظمون ذا المال. ثم يعظك ويبين لك في رشاقة واضحة من أخوك ومن صاحبك الذي يستحق هذه المنزلة وما علامته.

وتظهر حكمته في دعوته الى مراعاة المرء سنه، واجتناب ما لا يتوافق معها، إذ يقول[2]:

صَبَوتَ وَهَل تَصبو وَرَأسُكَ أَشيَبُ وَفاتَتكَ بِالرَهنِ المُرامِقِ زَينَبُ
وَغَيَّرَها عَن وَصلِها الشَيبُ إِنَّهُ شَفيعٌ إِلى بيضِ الخُدورِ مُدَرِّبُ

وهكذا تجد اوسا بن حجر يشابه شعراء مدرسته في ادراج الحكم والمواعظ على نحو متقارب جدا، كما شابه شعرهم في نظمه وجرسه وبحره وحتى بعض ألفاظه، وهذا سبق التنبيه اليه في خصائص المدرسة الأوسية، ومما وقفت عليه الباحثة التشابه القوي جدا بينه وبين الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة(الفحل)، فتجد اوسا بن حجر يقول[3]:

هَل عاجِلٌ مِن مَتاعِ الحيِّ مَنظورُ أَم بَيتُ دومَةَ بَعدَ الإِلفِ مَهجورُ
أَم هَل كَبيرٌ بَكى لَم يَقضِ عَبرَتَهُ إِثرَ الأَحِبَّةِ يَومَ البَينِ مَعذورُ

[1] -https://www.aldiwan.net/quote874.html
[2] -https://www.aldiwan.net/poem323.html
[3] -https://www.aldiwan.net/poem342.html

بينما تجدعلقمة بن عبدة(الفحل)– يقول[1]:

هَل ما عَلِمتَ وَما اِستودِعَت مَكتومُ أَم حِبلُها إِذ نَأَتكَ اليَومَ مَصرومُ

أَم هَل كَبيرٌ بَكى لَم يَقضِ عَبرَتَهُ إِثرَ الأَحِبَّةِ يَومَ البَينِ مَشكومُ

فتأمل هذا التشابه الكبير.

2– الحكم والمواعظ في شعر زهير بن أبي سلمى:

لا شك أن زهيرا عاش عمرا طويلا شارف فيه التسعين عاما، كيف لا وهو القائل[2]:

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وقد أكسبه هذا العمر المديد دراية بالحياة والناس والدهر، اتكأ عليها في شعر الحكمة، و التي هى السمة الغالبة على أشعاره، فتراه يقرر علم الله واطلاعه سبحانه على ما تكتمه النفوس، فيقول[3]:

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

وتراه يعظ الناس–عن خبرة– بمغبة الحرب وويلاتها، فيقول[4]:

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ

وتجد شعره ينبض بالحكمة في مداراة الناس اتقاء لشرهم وكسبا لودهم كما في قوله[1]:

[1] -https://www.aldiwan.net/poem27694.html
[2] -https://www.aldiwan.net/quote252.html
[3]- المكان نفسه
[4]- المكان نفسه

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَهُ وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ

ومما أخذ عليه، واعتبر فيه مجافيا للحقيقة قوله:

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

والباحثة هنا تميل الى أنه قرر واقع الناس في نظرتهم للموت، إذ أنه لا يختار على وتيرة واحدة، فيموت الصغير أحيانا قبل الكبير، والصحيح قبل العليل، ومن لا يرجى موته قبل من يرجى موته. هذا مع إثبات حكمة الله التي تجري في أقداره سبحانه وتعالى.

[1]- المكان نفسه

وتراه كأنما يوافق قول الباري عز وجل: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[1]، وقوله عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [2]، وذلك عندما يقول[3]:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

ثم تجده خبيرا بالسلوك الانساني، ضليعا في معرفة النفس الانسانية، إذ يقول[4]:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَائِنٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

ويقرر حكمة بليغة في معاملة الناس فيقول[5]:

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدنا فَعُدْتُمُ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ

كل ما سبق ايراده نذر من معلقته، بيد أن له حكما عديدة في مواضع مختلفة، ففي موضع آخر في شأن المحبين يقول[6]:

وما ذكرتُكِ إلا هِجتِ لي طَرَباً إنّ المُحبّ ببعضِ الأمرِ معذورُ

ومن أبرع ما قال في الحكمة عن الحلم والعفو والصدق[7]:

[1]-النساء : الآية78
[2]- الجمعة:الآية 8
[3] -https://www.diwanalarab.com/%D9%85%D8%B9%D9%84
[4] -https://www.aldiwan.net/quote522.htmlالزوزني: شرح المعلقات ص70
[5]- المكان نفسه
[6] -https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%B2%D9%87%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%
[7] -https://www.aldiwan.net/quote253.html

وفي الحلم إدهانٌ وفي العفو دُربةٌ وفي الصدقِ مَنجاةٌ من الشّرّ فأصْدُقِ

وقوله في الفراسة التي تنبئ عن خلجات النفوس[1]:

وَلا تُكثِرِ عَلى ذي الضِغنِ عَتباً وَلا ذِكرَ التَجَرُّمِ لِلذُنوبِ

وَلا تَسأَلهُ عَمّا سَوفَ يُبدي وَلا عَن عَيبِهِ لَكَ بِالمَغيبِ

مَتى تَكُ في صَديقٍ أَو عَدُوٍّ تُخَبِّركَ الوُجوهُ عَنِ القُلوبِ

وقريب منه قوله[2]:

الود لا يخفى وإن أخفيته والبغض تبديه لك العينان

3- الحكم والمواعظ في شعر كعب بن زهير:

كعب بن زهير هو حكيم بن حكيم ورث عن أبيه زهير الأناة والنظرة الثاقبة للأمور، فلا غرو أن جاء شعره يفيض حكمة وعلما، والباحثة ترى أن كعبا لو لم يقل الا بيته الشهير جدا[3]:

إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلول

لكفاه في شعر الحكمة، فهذا البيت مصداق قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[4]، قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب " :قد جاءكم "، يا أهل التوراة والإنجيل "من الله نور" ، يعني بالنور، محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق، تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب[5].

[1] -https://www.aldiwan.net/poem25040.html
[2] -https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%B2%D9%87%D9%8A%D8%B1
[3] -https://islamonline.net/archive/%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA-%D8%B3%D8%B9
[4]- المائدة:الآية 15
[5]انظرتفسير الطبري- https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura5-aya15.html

ولما كان كعب من المخضرمين– الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام– فقد أتاح له شهود هذين العصرين المتباينين عقيدة وثقافة وأخلاقا أن ينظر للأمور بالرّوية والتعقّل ويقيسها بميزان الحكمة ، لذلك نضحت أشعاره بحكم ومواعظ وأمثال سارت بها الركبان.

فتجده في شأن الحياة والموت والقدر، يقول[1]:

أعلم أني متى ما يأتني قدري فليس يحبسه شح ولا شفق

بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط إذ الفتى للمنايا مسكم غلق

وفي شأن الدنيا والرزق والفقر والغنى، يقول[2]:

والمرء والمال ينمي ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري فضل الذي بالغنى من عنده نثق

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

وتجده في حكمة رائعة يقرر ندم الانسان عندما يأتيه المشيب، وتمنيه–حين لا تنفع الأماني– عودة الشباب، مع الإشارة لما يطرأ على الإنسان من تغير مع الزمان ، فيقول[3]:

بان الشبابُ وأَمْسَى الشَّيْبُ قد أَزِفَا ولا أرى لشبابٍ ذاهبٍ خلَفا

عاد السوادُ بياضاً في مفارقِهِ لا مرحباً هابذا اللونِ الذي ردفا

في كلِّ يومٍ أرى منه مبيّنة ً تكاد تُسْقِطُ منِّي مُنَّةً أَسَفَا

ليت الشَّبَابَ حَلِيفٌ لا يُزَايِلُنا بل ليته ارتدّ منه بعضُ ما سلفا

[1] -https://www.aldiwan.net/poem21872.html

[2]- المكان نفسه

[3] -https://www.aldiwan.net/poem21869.html

ما شَرُّها بعد ما ابيضَّتْ مَسَائحُها لا الود أعرفه منها ولا اللَّطفا

لو أنها آذنتْ بِكراً لقلتُ لها يا هَيْدَ مالِك أو لو آذنَتْ نَصَفَا

لولا بنوها وقولُ الناسِ ما عطفتْ على العتاب وشرُّ الودِ ما عطَفَا

وتراه يثبت الحكمة والمثل الذائع الصيت (من شابه أباه فما ظلم)، حين يقول[1]:

أقول شبيهاتٍ بما قال عالماً بهنّ ومن يشبهْ أباه فما ظلمْ

وذلك في معرض فخره بأبيه زهير بن أبي سلمى، وبيان فضله وحكمته ورجاحة عقله ومكانته عند قومه، حيث يقول[2]:

فان تسألِ الأقوامَ عني فإنني أنا ابنُ أبي سُلْمَى على رَغْم مَنْ رَغَمْ

أنا ابنُ الذي قد عاشَ تسعينَ حجةً فلم يَخْزَ يوماً في مَعدٍّ ولم يُلَمْ

وأَكْرمَه الأَكْفاءُ في كلِّ مَعْشَرٍ كِرامٍ فإن كذَّبتَنِي فاسألِ الأُمَمْ

أتى العجمَ والآفاقَ منه قصائدٌ بَقِينَ بَقاءَ الوَحْيِ في الحَجَرِ الأَصَمِّ

أنا ابن الذي لم يخزني في حياتهِ ولم أخزه حتى تغيّبَ في الرَّجمْ

فأُعْطِيَ حتَّى مات مالاً وهِمَّةً ووَرَّثني إذ ودَّع المجدَ والكَرَمْ

وكان يُحَامي حين تَنْزِلُ لَزْبةٌ من الدَّهْر في ذُبْيانَ إن حوضُها انْهَدَم

أقول شبيهاتٍ بما قال عالماً بهنّ ومن يشبهْ أباه فما ظلمْ

[1] - https://www.aldiwan.net/poem21880.htm
[2] - المكان نفسه

وأصل هذا المثل "من شابه أباه فما ظلم" يعود إلى بيت الشعر الذي قاله رؤبة بن العجاج في مدح عدي بن حاتم الطائي، وقال فيه:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

يصف فيه الشاعرُ عديّاً بأنه شابه أباه حاتم الطائي واقتدى به وسلك طريقه بالكرم والجود، فدل ذلك على أنه ابنه حقيقةً، ومن شابه أباه ما ظلم أمه باتهامها فيه، وذلك لأنه لو جاء مخالفا لما عليه أبوه من السّمت أو الشّبه أو من الخلق والصفات لنسبه الناس إلى غيره، فكان في ذلك ظلم لأمّه واتهام لها. إذن هذا المثل يقال لمن اتصف بصفات أبيه واقتدى به، إذ هذا يدل على طهارة أمّه، وشرف نسبه[1].

ومن بعض خبرته في الحياة، يقول مستنصحا واعظا[2]:

لا تُفشِ سِرَّك إِلّا عِندَ ذي ثِقَةٍ أَو لا فَأَفضَلُ ما اِستَودَعتَ أَسرارا

صَدراً رَحيباً وَقَلباً واسِعاً صَمِتاً لَم تَخشَ مِنهُ لِما اِستَودَعتَ إِظهارا

ويقول في حكمة بليغة[3]:

وَلَيسَ لِمَن لا يَركَبِ الهَولَ بُغيَةٌ وَلَيسَ لِرَحلٍ حَطَّهُ اللَهُ حامِلُ

إِذا أَنتَ لَم تُقصِر عَنِ الجَهلِ وَالخَنا أَصَبتَ حَليماً أَو أَصابَكَ جاهِلُ

ونظائر هذا واشباهه كثير في التسليم بالقدر والتحلي بكريم الأخلاق، فمنه قوله[4]:

لَو كُنتُ أَعجَبُ مِن شَيءٍ لَأَعجَبَني سَعيُ الفَتى وَهُوَ مَخبوءٌ لَهُ القَدَرُ

[1] -https://www.facebook.com/AmthalShaabia/photos/a.1590880257809290/1598165930414056/
[2] -https://www.aldiwan.net/poem21895.htm
[3] -https://www.aldiwan.net/poem21902.html
[4] -https://www.aldiwan.net/poem21864.html

يَسعى الفَتى لِأمورٍ لَيسَ مُدرِكَها وَالنَفسُ واحِدَةٌ وَالهَمُّ مُنتَشِرُ

وَالمَرءُ ما عاشَ مَمدودٌ له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

وقوله[1]:

أَرعى الأَمانَةَ لا أَخونُ أَمانَتي إِنَّ الخَؤونَ عَلى الطَريقِ الأَنكَبِ

وفي رائعته (بانت سعاد) تضمينا لحكم وأمثال شهيرة، على شاكلة (مواعيد عرقوب) و(الغربال لايمسك الماء)، إذ يقول[2]:

وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

أَرجو وَآمُلُ أَن يَعجَلنَ في أَبَدٍ وَما لَهُنَّ طِوالَ الدَهرِ تَعجيلُ

فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ

وفيها أيضا مأثورات سارت بها الركبان ولم يزلن على كل لسان، كقوله[3]:

فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

4- الحكم والمواعظ في شعر الحطيئة:

[1] -https://www.aldiwan.net/poem21891.html
[2] -https://www.aldiwan.net/poem21877.html
[3]- المكان نفسه

يظن كثير من الناس أن الحطيئة يفتقر الى الحكمة في شعره، وما ذاك الا لأنه اشتهر بنزوعه للهجاء، والنظرة الأولية –السطحية– لمن يكثر الهجاء تشي بكثرة مصادمته لغيره ومخاصمته لهم الشئ الذي يدفع للظن بعدم أناة وحكمة صاحب هذا المنحى، ولكن الواقع يكذب هذا الزعم، فالمتتبع لشعر الحطيئة يرى الحكمة بارزة على نحو واضح في قصائده– وإن لم يكن مكثرا منها– يبثها في ثنايا أغراضه المتنوعة بما فيها الهجاء. كيف لا وهو القائل[1]:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللَهِ وَالناسِ

وكأنك تلحظ في قوله هذا حكمة زهير وأناة كعب.

وتراه يدعو للفضيلة والحياء، فيقول[2]:

الحمْدُ لله إنّي في جِوَارِ فَتًى حامِي الحَقِيقَة نَفَّاعٍ وضَرَّارِ

لا يرفعُ الطّرف إلاّ عند مكرمةٍ مِنْ الحَياءِ ولا يُغْضِي على عَارِ

بل يدعو الى تقوى الله والرغبة فيما عنده والانصراف عن حطام الدنيا في أبيات بليغة، تنم عن حكمة ونفسية مؤمنة، فيقول[3]:

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللَهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً وَعِندَ اللَهِ لِلأَتقى مَزيدُ

ويعظ من يتعظ ويقرر مثلا سائرا وحكمة مهيبة (اعط القوس باريها)، فيقول[4]:

يا باريَ القوس برياً ليس يُحسنُه لا تظلمِ القَوسَ أعطِ القوس باريها

[1] -https://www.aldiwan.net/quote132.htmlديوانالحطيئة ص222
[2] -https://www.aldiwan.net/poem22054.html
[3] -https://www.aldiwan.net/poem22048.html
[4] -https://shamela.ws/book/17712/1278

ويبرز حقيقة تنبئ عن خبرته ومعرفته بطبائع الناس، فيقول[1]:

إذا خافَكَ القومُ اللِّئامُ وَجَدْتَهُمْ سِراعًا إلى ما تشتهي وتريدُ

فلا تَخْشَهُمْ، واخشُنْ عليهم، فإنهم إذا أمِنوا منك الصِّيَالَ أُسُودُ

ثم هاهو يدعو في شاعرية فذة وقصصية ملهمة الى فضيلة إكرام الضيف، فيقول رائعته الشهيرة[2]:

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ بِتيهاءَ لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ رَسما

أَخي جَفوَةٍ فيهِ مِنَ الإِنسِ وَحشَةٌ يَرى البُؤسَ فيها مِن شَراسَتِهِ نُعمى

وَأَفرَدَ في شِعبٍ عَجُوزاً إِزائَها ثَلاثَةُ أَشباحٍ تَخالُهُمُ بَهما

رَأى شَبَحاً وَسطَ الظَلامِ فَراعَهُ فَلَمّا بَدا ضَيفاً تَسَوَّرَ وَاِهتَمّا

وَقالَ اِبنُهُ لَمّا رَآهُ بِحَيرَةٍ أَيا أَبَتِ اِذبَحني وَيَسِّر لَهُ طُعما

وَلا تَعتَذِر بِالعُدمِ عَلَّ الَّذي طَرا يَظُنُّ لَنا مالاً فَيوسِعُنا ذَمّا

[1] -https://www.aldiwan.net/poem22064.html

[2] -https://www.aldiwan.net/poem22073.html ديوان الحطئية ص336

فَرَوّى قَليلاً ثُمَّ أَجحَمَ بُرهَةً وَإِن هُوَ لَم
يَذبَح فَتاهُ فَقَد هَمّا

فَبَينا هُما عَنَّت عَلى البُعدِ عانَةٌ قَدِ اِنتَظَمَت مِن
خَلفِ مِسحَلِها نَظما

عِطاشاً تُريدُ الماءَ فَانسابَ نَحوَها عَلى أَنَّهُ مِنها
إِلى دَمِها أَظما

فَأَمهَلَها حَتّى تَرَوَّت عِطاشُها فَأَرسَلَ فيها
مِن كِنانَتِهِ سَهما

فَخَرَّت نَحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمينَةٌ قَدِ اِكتَنَزَت
لَحماً وَقَد طُبِّقَت شَحما

فَيا بِشرَهُ إِذ جَرَّها نَحوَ قَومِهِ وَيا بِشرَهُم لَمّا
رَأَوا كَلمَها يَدمى

فَباتَوا كِراماً قَد قَضوا حَقَّ ضَيفِهِم فَلَم يَغرِموا
غُرماً وَقَد غَنِموا غُنما

وَباتَ أَبوهُم مِن بَشاشَتِهِ أَباً لِضَيفِهِمُ
وَالأُمُّ مِن بِشرِها أُمّا

ثم تراه يظهر حذقه للشعر وسبره لأغواره، وينصح من لا يجيد السباحة ألا يقترب من بحره حتى لا تزل قدمه فيه، فيقول[1]:

[1] -https://www.aldiwan.net/poem22026.html

فَالشِعرُ صَعبٌ وَطَويلٌ سُلَّمُه

إِذا اِرتَقى فيهِ الَّذي لا يَعلَمُه

زَلَّت بِهِ إِلى الحَضيضِ قَدَمُه

وَالشِعرُ لا يَسطَيعُهُ مَن يَظلِمُه

يُرِيدُ أَن يُعرِبَهُ فَيُعجِمُه

وَلَم يَزَل مِن هَيثُ يَأتي يَحرُسُه

مَن يَسِمِ الأَعداءَ يَبقَ ميسَمُه

ومن طريف ما قال، حتى سار كأنه مثلا في الجهل[1]:

زَوَامِل للأَشعار لَا عِلْم عِنْدِهِمْ بجَيِّدها إلا كعِلْم الأَباعر

لعَمْرُك مَا يَدْري البعيرُ، إذا غَدَا بأَوساقِه أَو رَاحَ، مَا فِي الغَرائر

5- الحكم والمواعظ في شعر هدبة بن الخشرم:

مر هدبة بن الخشرم بمحنة عظيمة كانت سببا في قتله ، هى حادثة قتله ابن عمه زيادة بن زيد العذري، والتي مكث على أثرها في السجن خمس سنوات طوال، كانت فترة للتأمل ومراجعة النفس، والنظر للحياة بعين من أشرف على مفارقتها، وفي ذات الوقت يحدوه الأمل في أن يعفى عنه، هذه النفسية–بمشاعرها وآمالها المتناقضة – تجعل نظرة المرء مختلفة عمن سواه، تعظم في عينها أشياء

[1] -https://www.aldiwan.net/poem67497.html

وتحقر عندها أشياء أخرى. ويؤيد ماذهبت اليه الباحثة قول محمد مختار حسن:(ويأتي شعر هدبة بن الخشرم العذري ليمثل لونا فريد اً من ألوان شعر الحبسيات، والذي عانى فيه صاحبه مرارة السجن وترقب أن يقتاد منه، الأمر الذي طبع شعر هدبة بلون مائز من ألوان الشعر المحمل بالنقائض، ما بين يأس وأمل، وما بين خوف ورجاء، الصورة التي جعلت من شعره كاشفة ضوء على المنطقة التي يقف فيها الإنسان بين الحياة وبين الموت)[1] هذا فضلا عن نزوع هدبة الفطري للحكمة في شعره. فهذه العوامل مجتمعة تدفع لتصنيف هدبة بن الخشرم ضمن شعراء الحكمة، والتي تظهر في مواضع عديدة، منها قوله[2]:

أَقِلّي عَليَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا وَلا تَجزَعي مِمّا أَصابَ فأَوجَعا

فَلا تَعذُليني لا أَرى الدَهرَ مُعتِباً إِذا ما مَضى يَومٌ وَلا اللَومَ مُرجِعا

وَلَكِن اَرى أَنَّ الفَتى عُرضَةُ الرَدى وَلاقي المَنايا مُصعِداً وَمُفَرِّعا

وأَنَّ التُقى خَيرُ المَتاعِ وإِنَّما نَصيبُ الفَتى مِن مالِهِ ما تَمتَّعا

فأوصيكِ إِن فارقتِني أُمُّ عامِرٍ وَبَعضُ الوَصايا في أَماكِنَ تَنفَعا

فتراه يدعو الى الإقلال من اللوم والعتاب حيث لا يجدي بعد نفاد القدر ولا يرجع ما كان مضى، فيوصي وصية الحكيم العارف بمواطن نفع الوصية بخير المتاع وهو التقوى.

ويفصح في موضع آخر عن مع معرفته العميقة بالدهر والخيل والناس، فيقول[3]:

[1]- ارتشاف الظلماء ومعانقة الموت قراءة في حبسيات هدبة بن الخشرم العذري - مجلة كلية الآلداب بقنا -مصر-العدد 53 – الجزء الثاني يوليو 2021 محمد مختار حسن

[2] -https://www.aldiwan.net/poem103914.html

[3] -https://www.aldiwan.net/poem103897.html

فإِنَّ الدَهرَ مؤتَنِفٌ جَديدٌ وَشَرُّ الخَيلِ أَقصَرُها عِنانا

وَشَرُّ الناسِ كُلُّ فَتىً إِذا ما مَرَتهُ الحَربُ بَعدَ العَصبِ لانا

وعن حوادث الدهرأيضا يقول[1]:

فَلا تَعجَبي مِنّي حَليلَةَ مالِكٍ كَذَلِكَ يأَتي الدَهرُ بِالحَدَثانِ

ومما قاله –في السجن– من شعر الحكمة وسارت به الألسن[2]:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفكّ عان ويأتي أهله النائي الغريب

وقال في الحكمة أبيات رائعات تقرر حقائق ماثلات وتدعو للحظات متأملات[3]:

ولا أتمنّى الشرّ والشرّ تاركي ولكن متى أحمل على الشرّ أركب

ولست بمفراح إذا الدهر سرّني ولا جازع من صرفه المتقلّب

وحرّبني مولاي حتّى غشيته متى ما يحرّبك ابن عمّك تحرب

وتارة يدعو للشجاعة والإقدام، فيقول[4]:

إِنّي إِذا استَخفى الجَبانُ بِالخَدَر وَكانَ بِالكَفِّ شِهابٌ كالشَرَر

صَدقُ القَناةِ غَيرُ شَعشاعِ العُذَر حَمَّالُ ما حُمِّلتُ مِن خَيرٍ وَشَرّ

[1] -https://shamela.ws/book/630/127
[2] https://www.facebook.com/ArbicTheLanguage/posts/3223135564387527/-
[3] -https://poetsgate.com/poem.php?pm=180793
[4] -https://www.aldiwan.net/poem103917.html

6- الحكم والمواعظ في شعر جميل بن معمر:

اشتهر جميل بن معمر بحبه الشديد الجارف وولهه بمحبوبته (بثينة)، فقد كان كلفا بها لحد بعيد جعلها مدار أشعاره، فكانت جل أشعاره في الحب والغرام والصبابة والهيام، ولم يخرج عنها الا يسيرا. وبين هذا وذاك سطر من الحكم والأمثال ما صار على ألسنة العشاق وغيرهم مما لا يخفى على الواقف على شعره.

ومن أشهر الأمثال التي يتداولها الناس وقد خلدها جميل بثينة في شعره، المثل السائر (يخلق من الشبه أربعين،)، فقد قال[1]:

إني لأنظر في الوجود بأسره لأرى الوجود فلا أرى إلاك

قالوا ويخلق أربعين مشابها من أربعينك لا أريد سواك

وفي الحب والهيام، يقول بلغة العارف الذي ذاق وخبر[2]:

وقد كان حُبّيكُمْ طريفاً وتالداً وما الحبُّ إلاّ طارفٌ وتليدُ

وهذا الشطر الأخير صار –ولم يزل– سفرا من أسفار أهل العشق والهوى.

ومن بديع حكمته، ما قاله في شأن فراقه بثينة وتمنيه لقاءها، ولكنها صارت حكمة عامة تقال عند كل بعيد ذي حاجة، قوله[3]:

وقد تلتقي الأشتاتُ بعدَ تفرقٍ وقد تُدرَكُ الحاجاتُ وهي بعِيد

ومما سلم به أهل الصبابة والغرام وشاع بينهم، قوله[1]:

[1] -https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9

[2] -https://www.aldiwan.net/poem79432.html

[3]-المكان نفسه

ومن يُعطَ في الدنيا قريناً كمِثلِها فذلكَ في عيشِ الحياةِ رشيدُ

يموتُ الْهوى مني إذا ما لقِيتُها ويحيا إذا فارقتها فيعودُ

ومن أعجب ما يلحظه المتأمل لشعر جميل بثينة ذكره المتكرر لله والموت ومعاني الخشوع والتضرع وتقوى الله، فتجده يقول[2]:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبَّها ولا بُدّ من شكوى حبيبٍ يُروَّع

ألا تَتّقِينَ الله فيمَن قتلتهِ فأمسى إليكم خاشعاً يتضرّع

فإنْ يكُ جثماني بأرضِ سواكم فإنّ فؤادي عندكِ الدهرَ أجمع

إذا قلتُ هذا حين أسلو وأَجْتَري على هجرها ظلّتْ لها النفسُ تَشفَع

ألا تَتّقِينَ الله في قَتْلِ عاشقٍ له كَبِدٌ حَرّى عليكِ تَقَطّع

غريبٌ مَشوقٌ مولَعٌ بادّكاركُمْ **وكلُّ غريبِ الدارِ بالشّوقِ مُولَع**

واذا تأملت الشطر الأخير في البيت الأخير، فقد بدت الحكمة فيه جلية واضحة تنبئ عن حصافة قائلها.

وفي حكمة عظيمة يعظ ويدعو الى الآخرة ونبذ الدنيا والى اتقاء الفتن والأهواءفيها، فيقول[3]:

لِلَّهِ دُنيَا أُنَاسٍ دَائِبِينَ لَهَا قَد أَرتَعُوا فِي رِياضِ الغَيِّ وَ الفِتَنِ

---

[1]- المكان نفسه

[2] https://www.aldiwan.net/poem27819.html

[3] -https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%AC%D9%85%D9%8A

كَسَائِمَات رَوَاعٍ تَبتَغِي سُمنًا وَ حَتفُهَا لَو دَرَت فِي ذَلكَ السُّمنِ

وتلحظ أن هذه الكلمات – على روعتها– لايتوقع كثير من الناس خروجها من هذا الهائم المتوله في محبوبته، بل إن كثيرا من أهل الأدب –ممن لا يعلم نسبتها– قد ينسبها لغيره من الشعراء الحكماء.

ونظير ما سبق من الحكمة قوله الرائع في التوكل على الله والاعتماد عليه في الرزق[1]:

كُلوا اليَومَ مِن رِزقِ الإِلَهِ وَأَبشِروا فَإِنَّ عَلى الرَحمَنِ رِزقَكُمُ غَدا

ومن تجربته العظيمة مع اقدار الحب والهوى ، يقول[2]:

والحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسقوقه الأقدار

حتى اذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

وقولته الشهيرة (كل قتيل عندهن شهيد)[3]:

لكلّ حديثٍ بينَهنَّ بَشَاشَةٌ وكُلُّ قَتيلٍ عِندَهُنَّ شَهيدُ

وأحسَنُ أيّامي، وأبهَجُ عِيشَتي إذا هِيجَ بي يوماً وهُنّ قُعود

ومن طريف ما قال، وذاع عند الخطباء والفصحاء في مهمات الخطوب، ما لم يناسب أوله خاتمته، وهو قوله[4]:

[1] -https://www.aldiwan.net/poem27718.html
[2] -https://www.aldiwan.net/poem53302.html
[3] -https://www.aldiwan.net/poem79432.html
[4] -https://www.aldiwan.net/poem25731.html

ألا أيها النُّوّامُ ويحكُمُ هُبّوا أُسائِلكُمْ هل يقتلُ الرجلَ الحبّ

الخاتمة:

تناولت الباحثة الحكم والمواعظ عند شعراء المدرسة الأوسية، وابتدرت بحثها بالتعريف بالمدرسة الأوسية وذكر بعض خصائصها، ثم عرفت بشعراء هذه المدرسة أخذت نماذج منهم، ثم بينت بعض مواضع الحكمة عند شعراء المدرسة الأوسية. وتمثلت في أن الحكمة تبدو جلية واضحة عند كل شعراء المدرسة الأوسية على اختلاف أزمانهم وأغراضهم، وأن تشابهوا الى حد كبير في صياغتهم للحكمة او ايرادها كمثل سائر، فتحدثوا حديث العارف الحاذق الذي فهم الحياة والموت ومشارب البشر وطبائعهم واخلاقهم وخبر خلجات النفس الانسانية ودروبها. وتوصي الباحثة بمزيد من الدراسة والتقصي للمدرسة الأوسية، وبدراسة شعر الحكم في مختلف مدارس الشعر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- ابن منظور (١٩٩٠)،" لسان العرب"، الطبعة الأولى، داربيروت، بيروت
2- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ١٤٠٧ ،مج 10
3- البغدادي : تاريخ بغداد،دار النشر،2001
4- البغدادي :خزانة الأدب، ت: عبدالسلام هارون ، دار صادر 2001

5- أوس بن حجر :ديوانه ،دارصادر ت: محمد يوسف نجم ط2دار صادر2010
6- الحطئية: ديوانه ،ت : مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية بيروت
7- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقبق: حسن السندوبي، مؤسسة هنداوي2023
8- جميل : ديوانه ، ت:كرم البستاني ط1دار صادر
9- خفاجي:الشعر الجاهلي،ط2 دار الكتاب اللبناني1973
10- الذهبي : سير اعلام النبلاء، ت:محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث- القاهرة ط12006
11- الزوزني:شرح المعلقات السبع / ت: محمدبإبراهيم أبوسليم ،دار الشاهد2021
12- زهير بن ابي سلمى: ديوانه ، ت: علي فاعور ،دار الكتب العلمية1988
13- ابن سلام : طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر،دار المدني2019
14- عمر فروخ: الأدب العربي ،دار العلم للملايين ، بيروت
15- ابن قتيبية : الشعر والشعراء، حسن تميم،دار احياء العلوم بيروتط31987
15مجلة اللغة العربية و آدابها السنة الثانية، العدد الرابع ربيع و صيف ١٤٢٧/٢٠٠٦م

16السطوحي عبد الستار علي(١٤١٤)،" الحكمة في الشعر العربي"، دار الاعتصام، القاهرة

18الشعار فوّاز(د.ت)،" الأدب العربي"، ط دار الجيل، بيروت.

19شنتاوي أحمد و زكي خورشيد إبراهيم و يونس عبد الحميد ،" دائرة المعارف الإسلامية"، المجلد الثامن، ط دار الفكر،، ج ٨.

اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، النجف مطبعة الغري1940

20مجلة كلية الآداب بقنا –مصر–العدد 53 – الجزء الثاني يوليو 2021 .

المواقع الالكترونية:

1- https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724
2- https://arab-ency.com.sy/ency/details/7414/12
3- https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724
4- https://www.arabicmagazine.net/arabic/articleDetails.aspx?Id=724
5- https://e3arabi.com/%D8%A7%D9%84%D8
6- https://areq.net/m/%D8%A3%D9%88%D8%B3_%D8%A8%D9%86_%D8%AD%D8%AC%D8%B1.html
7- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B3_%D8%A8%D9%86_%D8%AD%D8%AC%D8%B1
8- https://www.aldiwan.net/poem374.html
9- https://www.uoanbar.edu.iq › eStoreImages › Bank
10- https://islamonline.net/%D9%83%D8%B9%D8%A8-%D8%A8%D9%86
11- https://www.aldiwan.net/poem25065.html
12- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B9%D8%A8_%D8%A8%D9%86
13- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B7%D9%8A%D8
14- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%86
15- https://www.m-a-arabia.com/vb/archive/index.php/t-10210.html
16- https://www.aldiwan.net/poem27808.html
17- https://dorar.net/hadith/sharh/134719
18- https://www.aldiwan.net/poem354.html
19- https://www.aldiwan.net/poem356.html
20- https://www.aldiwan.net/poem347.html
21- https://www.aldiwan.net/poem356.html
22- https://www.aldiwan.net/quote874.html
23- https://www.aldiwan.net/poem323.html
24- https://www.aldiwan.net/poem342.html

25- https://www.aldiwan.net/poem27694.html
26- https://www.aldiwan.net/quote252.html
27- https://www.diwanalarab.com/%D9%85%D8%B9%D9%84
28- https://www.aldiwan.net/quote522.html
29- https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%B2%D9%87%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%
30- https://www.aldiwan.net/quote253.html
31- https://www.aldiwan.net/poem25040.html
32- https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%B2%D9%87%D9%8A%D8%B1
33- https://islamonline.net/archive/%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA-%D8%B3%D8%B9
34- https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura5-aya15.html
35- https://www.aldiwan.net/poem21872.html
36- https://www.aldiwan.net/poem21869.html
37- https://www.aldiwan.net/poem21880.htm
38- https://www.facebook.com/AmthalShaabia/photos/a.1590880257809290/1598165930414056/
39- https://www.aldiwan.net/poem21895.htm
40- https://www.aldiwan.net/poem21902.html
41- https://www.aldiwan.net/poem21864.html
42- https://www.aldiwan.net/poem21891.html
43- https://www.aldiwan.net/poem21877.html
44- https://www.aldiwan.net/quote132.html
45- https://www.aldiwan.net/poem22048.html
46- https://shamela.ws/book/17712/1278
47- https://www.aldiwan.net/poem22064.html
48- https://www.aldiwan.net/poem22073.html
49- https://www.aldiwan.net/poem22026.html
50- https://www.aldiwan.net/poem67497.html
51- https://www.aldiwan.net/poem103914.html
52- https://www.aldiwan.net/poem103897.html
53- https://shamela.ws/book/630/127
54- https://www.facebook.com/ArbicTheLanguage/posts/3223135564387527/-

55- https://poetsgate.com/poem.php?pm=180793
56- https://www.aldiwan.net/poem103917.html
57- https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9
58- https://www.aldiwan.net/poem79432.html
59- https://www.aldiwan.net/poem27819.html
60- https://adabworld.com/%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%AC%D9%85%D9%8A
61- https://www.aldiwan.net/poem27718.html
62- https://www.aldiwan.net/poem53302.html
63- https://www.aldiwan.net/poem79432.html
64- https://www.aldiwan.net/poem25731.html
65- https://www.aldiwan.net/poem22054.html.html